مجلة المجمع العلمي

دور المُحدِّثات البغداديات
في إثراء الحركة العلمية
خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين

الدكتورة ناهضة مطر حسن
كلية التربية / جامعة واسط

الملخص :

لم ينحسر دور النساء في العصر العباسي ــ لاسيما البغداديات منهُنَّ ــ في البيت والاسرة ، وانما امتد ليشمل طلب العلم والرحلة من اجله ، وهُنَّ في ذلك يُظهِرنَ رغبتهُن في التواصل مع من سبقهُنَّ من النساء ممن ساهمَّن في رواية الحديث النبوي ، لذلك فقد ظهرت نساء عالمات ومتعلمات في علــوم مختلفة ، لكن رغبتهُن تركزت في العلوم الدينية وتحديدا حفظ القرآن وتفسيره والحديث والفقه ، وذلك للقدسية التي يكتسبها الحديث النبوي ، وقــوة تــأثيره على الشارع فضلا عن المكانة التي يشغلها المُحدث تحديدا في المجتمع .

يحاول البحث الاجابة عن تساؤلات عدة ، يأتي في مقدمتها هل بــرزت اعلام نسوية ــ بالمستوى الذي وصل اليه الرجال ــ يُشار لهُن بالبنان فــي رواية الحديث النبوي ، الذي وصف عند اهل الحديث بأنه علــم ذكــوري ؟ كيف خرجت النساء في تلك المرحلة التي يمكن تسميتها بفوضــى الاحــتلال لاخذ الحديث ؟ وما هي اماكنه ؟ ثم بعد ذلك كيف نظر علماء الحديث لعلمية المرأة ، بمعنى آخر هل اخذوا الحديث عن النساء ، وما مدى قناعاتهم بذلك ؟ وهل هناك نساء كانت لهن فتاويهُن في المسائل الفقهية ؟ .

المقدمة :

تقتضي الطبيعة البشرية لكل الناس ان يسعوا الى تطوير قدراتهم وملكاتهم ، لا سيّما الفكرية ، فالله سبحانه وتعالى قد منحنا العقل لنسعى في هذه الحياة كل بقدر استطاعته وصفحات التاريخ حافلة بنماذج كثيرة قدمت إبداعاتها في مختلف مجالات العلم والثقافة ، ومن الطبيعي ان يكون للنساء قدر من هذا العطاء ، اذ ساهمَّن في صنع الحياة ، لذلك فقد شهد الواقع العربي ، نبوغ عدد لا يُستهان به من النساء ، في مجالات مختلفة في الادب والحكمة والطب ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصصا كثيرة ، عن نساء ، كُن القدوة في مجتمعاتُهن .

ولا ريب في ان الاسلام قد رفع من مكانة المرأة وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعية ، ويكفي ان نذكر بفخر ان الله سبحانه وتعالى قد جعل للنساء دورا في الدعوة منذ ان نزل الوحي على الرسول (ﷺ) فكانت السيدة خديجة زوج الرسول (ﷺ) اول من ساندت زوجها ووقفت الى جانبه ، كما ان بيعة النساء للرسول وهُجرتهُن ، وجهادهُن ، وحرصهُن على معرفة احكام دينهُن ، وتقدير الرسول (ﷺ) لهُن مسائل واضحة وجلية لا غبار عليها .

لكن ذلك لم يستمر طويلا ، لاسيما بعد حركة الفتوحات الاسلامية واتساعها في العصر الاموي ، اذ انها غمرت البلاد بالسبايا والجواري كما ادت الى تسرب اخلاق الاعاجم الى العرب بسبب الامتزاج الاجتماعي والثقافي ، وإن حافظ المجتمع في العصر الاموي ، قدر المُستطاع على التقاليد والمُثل العربية ولاسيما ما يخص المرأة .

ان الانفتاح الاجتماعي ، الذي شهده العراق في العصر العباسي ، للثقافات المختلفة ــ لاسيما ان بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية ، قد اصبحت من اهم مراكز النشاط العلمي فضلا عن السياسي والاقتصادي والاجتماعي مهد لظهور عناصر مختلفة أثرت في واقع البلاد وتحديدا في حياة حكام السلطة (الخلفاء) الذين اتخذوا الجواري في قصورهم ، ومنحوهُنّ سلطة كبيرة في المجتمع ، بفضل ما يَتمتَّن به من مواهب متعددة وتحديدا في الشعر والموسيقى والغناء ، واستطعنّ بفضل مواهبهُنّ تلك ، من السيطرة على قلوب الخلفاء ، حتى اصبحَنّ زوجات للخلفاء ، واصبح اولادهُنّ خلفاء ، وهذا يؤشر حالة سلبية في المجتمع ، ظهرت آثارها في الحياة السياسية اولا ، لا سيما بعد تولي خلفاء ضعفاء ، كما ادت الى تدني مكانة المرأة ثانيا ، إذ ادت الى إنحسار المساحة التي تتحرك عليها المرأة ــ لاسيما الحُرة منهُن ــ في المجتمع ، التي حاولت التعبير عن ذاتها بالتعلم ، الذي يشكل الدعامة الكبيرة لاعادة مكانتها ، وتغيير نظرة المجتمع للنساء عموما .

على الرغم من التجني الواضح عند بعض المؤرخين في ذكر دور النساء المؤثر في الحركة الفكرية وطمس اخبارهُنّ ، وتحديدا في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، لاسيما هؤلاء الذين نظروا لها نظرة متدنية ، محاولين إستحضار قيم وتقاليد اجتماعية بالية لتقييدها بقيود لا ينبغي لها ان تتجاوزها ، فضلا عن ظهور حركات دينية حَجرت على المرأة وقيدتها بقيود ، لكن كل ذلك لم يُثبِط طموح النساء ، وحرصهُن على الرُقي بواقعهُن المُعاش ، من خلال طلب العلم ،لذلك فقد ظهرت نساء عالمات ومتعلمات في علوم مختلفة ، لكن رغبتهُن تركزت كما ذكرنا في العلوم الدينية وتحديدا حفظ

القرآن وتفسيره والحديث والفقه ــ سواء من نساء بغداد او ممن رَحلنَ اليها ــ وذلك للقدسية التي يكتسبها الحديث النبوي ، وقوة تأثيره في الشارع فضلا عن المكانة التي يشغلها المُحدث تحديدا في المجتمع ، كما عبرت المُحدثات في تلك المرحلة ايضا عن رغبتهُن في التواصل مع من سبقهُن من النساء ممن ساهمَّن في رواية الحديث النبوي .

إن التعتيم الذي طغى على اخبار النساء في العراق في العصر العباسي تحديدا ، شكل عقبة كبيرة امام البحث ، حتى ان تاريخ وفيات اغلبهُن لم يذكر ، لكننا حاولنا استقصاءها من الاخبار الواردة في ثنايا تراجمهُن .

فضلا عن ذلك فإن المعلومات الواردة عن اعداد تلك النسوة ، وكيفية طلبهُن العلم قليلة جدا ، لكننا حاولنا توظيف هذه المعلومات لاظهار صورة عن نساء بغداد ، ويأتي تحديدنا لدراسة نساء بغداد ، لضبابية الصورة التي قدمها المؤرخون حول نساء العراق في باقي مناطقه .

يحاول البحث الاجابة عن تساؤلات عدة ، يأتي في مقدمتها هل برزت اعلام نسوية ــ بالمستوى الذي وصل اليه الرجال ــ يُشار لهُن بالبنان في رواية الحديث النبوي ، الذي وصف عند اهل الحديث بأنه علم ذكوري ؟ كيف خرجت النساء في تلك المرحلة التي يمكن تسميتها بفوضى الاحتلال لاخذ الحديث ؟ وما هي اماكنه ؟ ثم بعد ذلك كيف نظر علماء الحديث لعلمية المرأة ، بمعنى آخر هل اخذوا الحديث عن النساء ، وما مدى قناعاتهم بذلك ؟ وهل هناك نساء كانت لهن فتاويهُن في المسائل الفقهية ؟ .

العوامل التي ساعدت على ظهور النُخبة النسوية في طلب الحديث وروايته :

مرّ العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين بأوضاع عصيبة جـدا ، يأتي في مقدمتها تولي خلفاء لم يكونوا بمستوى النكبات التي تعصف بالبلاد ، لا سيما في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما بعده ، فضلا عـن وجود قوى خارجية اجنبية تدخلت بالشؤون الداخلية للبلد تمثلت بالاتراك الذين برزوا قوة مؤثرة في سير الاحداث بعد وفـاة الخليفـة الواثـق بـالله عـام (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) ثم البويهيون ، الذين شغلت فترة حكمهـم العـراق سـتا وستونّ سنة من القرن الرابع الهجري[١]، فضلا عن التركة الثقيلة التي ورثها الخلفاء ، نتيجة لسياسة اغلب من سبقهم ، سواء اكان في التعامل مع حركات المعارضة[٢] ام في تدخل النساء الجواري بشؤون الحكم وتدهور الاوضـاع الاقتصادية ، حتى عَرفتْ خزينة الـدولة الافلاس ـ لاسيما فـي القـرن الرابع الهجري ـ ووصل الامر الى عجز الخليفة عن دفع رواتب الجند وهذا ما ادى الى دخول البلد في حالة من الفوضى والارتباك[٣].

يرى آدم متز ان هذه المشاكل السياسية اثرت بشكل كبير فـي الواقـع الاجتماعي ، لذلك تعالت الاصوات المطالبة بحقوقهـا ، ومنهـا الاصـوات النسوية ، التي اصبحت واضحة ومؤثرة ، لاسيما في القرن الثالث الهجـري

---

(١) احمد امين ، ظهر الاسلام ، ط١ (دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ٢٠٠٤) ج١ ، ص٩ ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية في عصر الفوضـى العـسكرية ، ط٢ (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٧) ص٥٥ .

(٢) الشيخ محمد الخضري بك ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسـية ، ط١ (مؤسسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٣) ص ١٦٧ .

(٣) فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص٧٠

وهي تطالب بضرورة اعطائها الفرصة للمشاركة في المهام الكبيرة ، ورفض النظرة الدونية التي نظر بها بعضهم اليهن[٤] .

لا شك في ان دور النساء لاسيما الجواري كان مؤثرا في قصور الخلافة، إذ كانت لهُن الكلمة النافذة في امور الدولة [٥] ، اما بالنسبة للنساء الاخريات في المجتمع البغدادي ، فيمكن القول ان تعليمهُن قد انحسر في طبقة معينة ، تلك التي هيأت لها الظروف مستلزمات اخذ الحديث ، إذ ان الخوف والحرص عليهُن ، كان السبب الرئيسي في ذلك الانحسار .

من خلال الجدول المرفق ادناه[٦] ، يمكن ملاحظة الانحدار الأُسري للاعلام النسوية التي ذكرتها الاخبار ، ويأتي في مقدمتها الاسرة العباسية التي حرصت على تعليم اولادها ــ نساءً ورجالاً ــ ودفعهم الى حفظ ورواية

---

[٤] الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط٣ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧) ج٢، ص١٧٢

[٥] الخطيب البغدادي ، احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م) ، تاريخ بغداد او مدينة السلام ، ط٢ ، تحقيق مصطفى عبد القادر (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤) تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣١ ، ٧٨٠٠ الخيزران؛ ابن الساعي ، علي بن انجب (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م) نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيق د . مصطفى جواد (دار المعارف ، مصر ، د . ت) ص ٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ؛ علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ،(مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢) ص ٥٨٦ ؛ كحالة ، عمر رضا ، اعلام النساء ، ط٢ (المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٥٩) ج ١ / ص١٨٥ ثمل ،ج٣ / ص٣٣١ علم ، ج٥ / ص٦٧ ام المقتدر .

[٦] ص١١ ، التراجم رقم ١ ، ٢ ، ٣ .

الاحاديث التي تخدمهم ــ اقصد تلك التي تمجد وجودهم وتضفي عليه القدسية ــ فقد اخذت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس (عاشت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) عن ابيها [٧].

فضلا عن ذلك فقد حرصت اغلب الأُسر العلمية على توريث ابنائها العلم الذي يحملونه ، ويتبين ذلك من خلال اسماء آباء النساء المتعلمات ، فأكثرهم ــ أي الآباء ــ حملوا العلم ووصلوا به الى مراتب علمية مميزة سواء أكان في الحديث ام الفقه فضلا عن التصنيف فيه ، فقد اخذت ام عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)[٨] وعبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الله الانصارية (ت بعد ٣٣١هـ/ ٩٤٢م) [٩]والخلدية بنت جعفر الخلدي (ت بعد ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م) [١٠]وام سلمة فاطمة بنت ابي عبد الله بن ابي داود السجستاني (ت بعد ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)[١١] وامة الواحد ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) [١٢]وامة السلام بنت القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)[١٣] الحديث عن آبائهُن ، كما سمعت بعض

---

[٧] ينظر الترجمة رقم ٢ .

[٨] ينظر الترجمة رقم٥ .

[٩] ينظر الترجمة رقم ٦ .

[١٠] ينظر الترجمة رقم ٧ .

[١١] ينظر الترجمة رقم ٨ .

[١٢] ينظر الترجمة رقم ٩ .

[١٣] ينظر الترجمة رقم ١٠ .

المُحدِّثات عن إخوانهُن ، فقد حرصت الحوارية بنت عيسى الخراز(عاشت في القرن الرابع الهجري) على سماع الحديث عن اخيها[١٤] .

فضلا عن ذلك فقد سعى بعض المُحدثين الى نقل العلم ، لزوجاتهم ، ومنهم سعيد بن يحيى بن قيس (عاش في القرن الثالث الهجري) الذي روى ما حفظه من حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى زوجته ام عمر بنت ابي الغصن حسان بن زيد الثقفي (عاشت في القرن الثالث الهجري) [١٥].

كما اخذت بعض المُحدثات الحديث عن كتب ورثنّها عن اجدادهُن ، فقد ورثت سمانة بنت حمدان محمد بن موسى الانبارية (عاشت في القرن الرابع الهجري) كتب جدها الوضاح بن حسان وروت عن هذه الكتب[١٦].

على الرغم من الاوضاع السياسية السيئة التي ذكرناها ، فقد خرجت بعض النساء ممن لم يحظين بالحديث في بيوتهُن ، لاخذه في مجالس نسوية خاصة ، يبدو ان كثيرا منهُن كُن حريصات على حضورها ، للتعلم والتفقه وهذا ما سنذكره لاحقا ، كما اخذ القليل منهُن العلم عن مشايخ عصرهُن في بغداد ، فقد سمعت خديجة ام محمد (عاشت في القرن الثالث الهجري) الحديث عن اسحاق بن يوسف الازرق (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م) واحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[١٧].

---

[١٤] ينظر الترجمة رقم ١١.

[١٥] ينظر الترجمة رقم ١ .

[١٦] ينظر الترجمة رقم ١٢ .

[١٧] ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٣ ، ٧٨٠١ .

ما ذكرناه آنفا يوضح العوامل التي هيأت للنساء البغداديات طريقهُن العلمي ، الذي لم ينقطع ، ويأتي في مقدمتها الأُسر العلمية التي تنحدر منها تلك النسوة ، التي ساهمت بشكل كبير في تهيئة الفرصة العلمية لهُن ، فضلا عن حرصهُن للاستزادة من العلوم ، لذلك وجدنا ان منهُن من كانت تحمل علوم اخرى كالنحو والحساب وعلوم اخرى[١٨]. وهُن بدورهُن ساهمَن بدرجة كبيرة على نقل الحديث الى ابنائهُن ، فتذكر الروايات ان ابن العالمة ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي ، كان قاضيا[١٩]

لم يتوقف دور النساء على طلب الحديث وروايته بل ان بعضهُن دعمنَ اهل الحديث والفقه، بالاوقاف الخاصة لهُن ، فقد وقفت بنفشا بنت عبد الله الرومية مولاة المستضئ بالله (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) بيتها الذي يقع على نهر دجلة ، وجعلته مدرسة للفقهاء [٢٠].

طرق اخذهُن الحديث وأماكنه :

لا تختلف طرق اخذ النساء للحديث عن تلك الطرق المتعارف عليها سواء عن طريق السماع أوالحفظ او القراءة والاملاء ... والحصول على الاجازة في الرواية[٢١]ويبدو انهُن كُن حريصات على اخذ الحديث بدقة

---

[١٨] م . ن ، ج١٤ / ص٤٣٦ ، ٧٨٠٥ خديجة ام عمر و ص٤٤٣ ، ٧٨٢٠ امة الواحد ستيتة ؛ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) البداية والنهاية في التاريخ ، ط٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥) ج١١ / ص٣٢٩ .

[١٩] م . ن ، ج١٤ / ص٤٤٣ ، ٧٨٢٠ .

[٢٠] ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ١١١ .

[٢١] ينظر عثمان موافي ، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الاوربي (مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، د . ت) ص٦٤ .

وحرص كبيرين حتى ان بعضهن وصلنَ الى مراتب علمية عُليا ، ويتبين ذلك من الالقاب التي حصلنَ عليها فقد حملت كل من ام عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي[٢٢] وامة الواحد ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي[٢٣] لقب " العالِمة" واطلق على كل من فاطمة بنت احمد السامرية (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)[٢٤] وفاطمة بنت عبد الله بن ابي داود السجستاني [٢٥] لقب " مُحدِّثة" .

برزت خصوصية النساء في طلب الحديث وروايته من خلال الاماكن التي كانت مراكزهُن لاخذ العلم ، إذ يأتي في مقدمتها المنازل ، ومن الطبيعي اذا كان الاب او الاخ او الزوج هو المحدِّث ، ان يكون المنزل هو مكان التعليم ، وهكذا عرفت الأُسر العلمية المشهورة في التاريخ العربي الاسلامي التي كانت منازلها بمثابة مدارس للعلم والثقافة ، ومنها قصور الخلافة ، حيث اخذت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ،الحديث فيها وعقدت مجالسها ايضا [٢٦] ، التي حضرها مُحدِّثون ممن وصلوا الى مراتب علمية مميزة في طلب الحديث منهم عاصم بن علي الواسطي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٥ م) والقاضي جعفر بن عبد الواحد (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)[٢٧].

---

[٢١] ينظر الترجمة رقم ٥ .

[٢٣] ينظر الترجمة رقم ٩ .

[٢٤] الترجمة رقم ٤ .

[٢٥] الترجمة رقم ٨ .

[٢٦] ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٥ ، ٧٨٠٣ .

[٢٧] م . ن .

فضلا ذلك فقد برزت بيوتات علمية اخرى ، منها منزل عبدة بنت عبد الرحمن الانصارية التي كانت تجلس في منزلها في مُربعة الخرسي[٢٨] لرواية الحديث[٢٩] وكذلك منزل الحوارية بنت عيسى الخراز التي عقدت فيه مجلسها لرواية الحديث واخذت عنها فاطمة بنت احمد السامرية وغيرها [٣٠].

كما انتقلت بعض المُحدّثات الى منازل مُحدّثين آخرين لرواية الحديث ، فقد جلست ام عمر بنت ابي الغصن حسان بن زيد الثقفي عند دار معاذ علي بن مسلم [٣١]، وكذلك عقدت فاطمة بنت ابي بكرعبد الله بن ابي داود السجستاني مجلسها في منزل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكي[٣٢] .

ومن الجدير ذكره هنا ، حالة الإصرار الذي تميزت بها اغلب المُحدّثات على طلب الحديث وإن وصلنّ الى مراحل متقدمة فيه ، لذلك فقد حضرنَّ مجالس الكثير من المُحدّثين ، ويبدو انهُن كُن يجلسنّ في مكان من المجلس قد خُصص لهُن ، فقد حضرت خديجة ام عمر مجلس احمد بن حنبل للاستزادة

---

[٢٨] محلة شرقي بغداد اخذت اسمها من الخرسي صاحب شرطة المنصور ينظر ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ، د . ت) مج٤ / ص٢٤٣ .

[٢٩] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٩ ، ٧٨١٣ .

[٣٠] م . ن ج١٤ / ص٤٣٩ ، ٧٨١٢ ؛ ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمري (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥) ج٥ / ص١٣٩ .

[٣١] م . ن ، ج ١٤ / ص٤٣٣ ، ٧٨٠١ .

[٣٢] م . ن ، ج١٤ / ص٤٤٢ ، ٧٨١٨ .

من الحديث النبوي[٣٣] كما اخذت امة الواحد ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي الحديث عن مُحدثّين كثيرين فضلا عن والدها[٣٤] .

وعلى الرغم من حرص المُحدثات على الاستزادة من الحديث ، لكننا لم نعثر على نساء رحلنّ لطلب الحديث الا مع أُسرهُن ، وهذا ما يوضح الى حدٍ كبير سبب انحسار او تداول الاحاديث التي يروينّها الأ في حدود امصارهُن ، مقارنة بالرجال المُحدثّين ، الذين جابوا مختلف الامصار وعُرفت اسماؤهم وتناقلت الألسن احاديثهم ، لكن من ناحية ثانية فقد شهدت بغداد حضور محدثات من مناطق اخرى فقد حضرت جمعة بنت احمد بن محمد بن عبيد الله النيسابورية الى بغداد عام (٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م) واخذ عنها الكثير من المحدثين [٣٥] .

موقف علماء الحديث من علمية النساء المحدثات:

اعتمد علماء الحديث والفقه في قبول رواية النساء للحديث على ما ثَبُتَ عن اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قبولهم لرواياتهُن[٣٦] ، وفي ذلك يقول الزركشي " رواية المرأة مقبولة لانها في الشهادة فوق الاعمى وقد

---

[٣٣] م . ن ، ج١٤ / ص٤٣٣ ، ٧٨٠١ .

[٣٤] م . ن ،ج١٤ / ص ٤٤٣ ، ٧٨٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ /ص٣٢٩ .

[٣٥] م . ن ، ج١٤ / ص٤٤٤ ، ٧٨٢٤ .

[٣٦] البزدوي ، علي بن محمد الحنفي(ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م) كنز الوصول الى معرفة الاصول (مطبعة جاويد بريس ، كراتشي ، د . ت) ج١ / ص١٦٩ .

قبلت رواية الاعمى ...فالمرأة اولى "[٣٧].

فضلا عن ذلك فإن بعض الاحاديث لم تأتِ روايتها ، إلا عن طريق النساء ، وهي تتضمن الكثير من سُنن الاسلام ، وفي رفضها ذهاب للكثير من تلك السُنن [٣٨] لذلك فمن الاولى قبول روايتهُنّ للحديث ، وما ذكرناه ينفي ذكورية الرواية [٣٩] التي حسَرتْ رواية الحديث بالرجال ، ويؤكد مبدأ القبول من الكُل ، طالما التزموا بقواعد واصول رواية الحديث .

لكنهم من جهة اخرى ، اختلفوا في انه هل يمكن قبول جرح النساء وتعديلهُنّ ، فأبو حنيفة ابدى قبوله على ذلك ، في حين رفض مالك والشافعي واحمد في اشهر روايتيه بأنه لا مدخل لهُنّ في ذلك[٤٠].

ويبدو من الروايات ان بعض علماء الجرح والتعديل قد طبقوا شروطهم في قبول الروايات على النساء وجرحوا بعضهن ، فقد جَرح يحيى بن معين الغطفاني البغدادي (ت ٢٣٣هـ/٨٤٧ م) امام الجرح والتعديل في بغداد ، ام

---

[٣٧] بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ/ ١٣٩١م) البحر المحيط في اصول الفقه ، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠) ج٣ / ص٣٧١ .

[٣٨] ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت٧٥٢هـ/ ١٣٥٩م) زاد المعاد في هدى خير العباد ،ط١٤ ، تحقيق شعيب وعبد القادر الارناؤوط (مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية بيروت ، الكويت ، ١٩٨٦)ج٥ / ص٦٩١ .

[٣٩] عبد السلام وعبد الحليم واحمد بن عبد الحليم آل تيمية ، المسودة في اصول الفقه ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد (دار المدني ، القاهرة ، د . ت) ج١ / ص٢٣٣ .

[٤٠] المروزي ، محمد بن نصر (ت٢٩٤هـ/ ٩٠٦م) اختلاف الائمة العلماء ، ط٢ ، تحقيق صبحي السامرائي (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ) ج٢ / ص٤٠٢ .

عمر بنت ابي الغصن حسان بن زيد الثقفي بقوله انها "ليست بشئ" [٤١] على الرغم من ان مُحدثين عرفوا بالثقة والعلم والصدق ، أخذوا عنها ، ومنهم محمد بن الصباح الجرجرائي (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وابراهيم بن عبد الله الهروي (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) [٤٢]، وكذلك الامر بالنسبة لسُمانة بنت حمدان محمد بن موسى الانبارية التي جُرحتْ ، بسبب ان روايتها عن ابيها[٤٣] كانت عن طريق عمرو بن زياد المتهم في روايته[٤٤] وقد اخذ عنها ابو القاسم الطبراني(٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) وابو بكر الشافعي(ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) [٤٥].

ومن الجدير ذكره هنا ان بعض النساء ، قد جمعَّن بين رواية الحديث واستنباط الاحكام الفقهية للافتاء في المسائل المختلفة التي تعرض عليهُن ، إذ جَّوز بعض الفقهاء قضاؤها في جميع الاحكام[٤٦] ، وهي في الحقيقة مُهمة صعبة جدا ، اذ لا بد ان يكون الشخص ممن يتولى هذه المهمة عالما بالكتاب

---

[٤١] الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،ط١ ، تحقيق الشيخين علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٥) ج٧ / ص ٤٧٨ ، ١١٠٣٥ .

[٤٢] م . ن .

[٤٣] م . ن ، ج٨ / ص١٧٥ ، ٤٢٩٠ حمدان بن موسى .

[٤٤] ينظر ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ / ص٢٢٩ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٧ / ص٤٧٠ ، ١٠٩٧٤ .

[٤٥] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٤١ ، ٧٨١٤ .

[٤٦] ينظر آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ / ١٧٣ .

والسُّنة[٤٧]، فقد وجدنا ان هناك من النساء ممن تصدينَّ لهذه المهمة ومنهُن ام عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي ، إذ ذكر الخطيب البغدادي رأيه فيها قائلا انها " تفتي في الفقه" [٤٨]، كما ان منهُن من تولت الافتاء على مذهب معين ، لا سيما ان المذاهب قد وضعت واكتملت مناهجها في القرن الرابع الهجري [٤٩] فقد تولت امة الواحد ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي ، الافتاء على مذهب الشافعي فضلا عما ذكرناه آنفا من روايتها للحديث [٥٠] .

بعض ما ورد ذكره من رواياتهُنّ في الحديث

تنوعت الاحاديث التي روتها المُحدِثّات ، في مواضيعها ، ما بين الاحاديث التي تدعو الى صالح الاعمال والوعظ والنصح او في احكام النساء ، وهناك احاديث يمكن ان نقول ان رواية بعضهن لها ، كان لاغراض سياسية أي لدعم سلطة الدولة .

يتبين لنا من خلال رواياتهُنّ للحديث ، ان اغلبها تركزت في الدعوة الى الخير والوعظ والابتعاد عن الشر فقد روت ام سلمة فاطمة بنت ابي بكر عبد الله بن ابي داود السجستاني حديث الرسول (ﷺ) لا تقوم الساعة الا على

---

[٤٧] محمد ضاري حمادي ، الحديث النبوي الشريف واثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ط١ (مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، ١٩٨٢) ص٢٥٢ .

[٤٨] ينظر الترجمة رقم ٥ .

[٤٩] احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج٢ / ص٤٤ .

[٥٠] ينظر الترجمة رقم ٩ .

شرار الناس " [٥١] كما روت سمانة بنت حمدان الانبارية حديث الرسول (ﷺ) "من اخذ من طريق المسلمين شبرا طوقه يوم القيامة من سبع ارضين " [٥٢].

هناك من المُحدّثات من نقلت احاديث عن امهات المؤمنين ــ زوجات الرسول (ﷺ) ــ فقد روت ام عمر بنت ابي الغصن حسان بن زيد الثقفي حديث عن السيدة عائشة تحذر فيه من الانتقاص منها بقولها " لا ينتقصني احد في الدنيا الا تبرأت منه في الآخرة " [٥٣] .

كما سعت بعض المُحدّثات الى نقل الاحاديث التي تؤرخ لمآثر اجدادهُنّ وشجاعتهم التي عبر عنها الرسول بحديثه ، فقد روت عبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت بن ابي قتادة الانصارية حديث الرسول (ﷺ) في ابي قتادة " افلح الوجه اللهم اغفر له " [٥٤] وقوله " اللهم احفظ ابا قتادة ..." [٥٥] .

ولم تكن الاحكام التي وردت في النساء بعيدة عن احاديثهُنّ فقد روت عبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت بن ابي قتادة الانصارية حديث الرسول (ﷺ) " ليس على النساء غزو ولا جمعة ولا تشييع جنازة "[٥٦].

---

[٥١] مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)الصحيح (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) ج٨ / ص٢٠٨ ، باب قرب الساعة .

[٥٢] الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧هـ /١٤٠٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨) ج٤ / ص١٧٤ .

[٥٣] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٥ ، ٧٨٠٤ .

[٥٤] الهيثمي ، مجمع ، ج٩ / ص٣١٩ .

[٥٥] م . ن ، ج٩ / ص٣١٩ .

[٥٦] م . ن ، ج٢ / ص١٧٠ .

كان لنساء الأسرة العباسية دور مهم في نقل الأحاديث التي تؤيد شرعية الخلافة العباسية، وتبرز دور العباس عم الرسول والتبشير بقيام الدولة العباسية من اجل كسب الرأي العام الى جانبهم ضد خصومهم ـ أي العلويين ـ الذين عبروا عن معارضتهم بالاحتجاج تارة والثورات تارة اخرى [٥٧]، فقد روت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي عن ابيها عن جدها ـ أي العباس ـ الذي حضر مجلس الرسول (ﷺ) وكان عنده جبرائيل ... ودعائه له بقوله " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ، واجعله من اهل الايمان " [٥٨].

كما تناقلوا حديثا نسبوه للرسول (ﷺ) يبشر به ابن عباس بالخلافة قائلا " اذا افضى الامر الى ولدك فسكنوا السواد ولبسوا السواد وكانت شيعتهم اهل خراسان لم يخرج الامر منهم الا الى عيسى بن مريم (عليه السلام ")[٥٩] ولا غرابة في ان الكثير من شاكلة هذه الاحاديث كانت موضوعة على حديث الرسول (ﷺ) اسقطها علماء الجرح والتعديل [٦٠].

ومن صفوة القول ، يمكننا ان نؤكد ان أثر النساء في الحركة العلمية كان فعالا ، فالنساء شاركنَّ الرجال في حمل العلم المُقدس وروايته ، حتى بلغنَّ مراحل متقدمة فيه ، ويتبين ذلك ، من خلال تلك الاعلام النسوية التي تناولها

---

[٥٧] الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول ، ط٣ (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٧) ص٦٢ .

[٥٨] الهيثمي ، مجمع ، ج٩ / ص٢٧٦ .

[٥٩] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٥ ، ٧٨٠٤ .

[٦٠] الدوري ، العصر العباسي ، ص٢٣ .

البحث ، حيث سعى رواة الحديث الى اخذ الحديث منهُن ، وكانوا حريصين على ذلك ، والدليل على ذلك انهم ذكروهُنّ في قائمة مشايخهم العلماء ، ولابد من ان هناك الكثير من النساء ممن غفلت اقلام المؤرخين عنهُن ، لذلك يمكن ان نعد ، ان ما ذكروه لا يرقى الى المستوى العلمي والثقافي ، الذي بلغنَّه في تلك المرحلة .

جدول بمُحدِّثات اهل بغداد او ممن رحلَن لها وسكنَّ فيها

ت	الاسم	تاريخ الوفاة	شيوخهُنّ	من اخذ عنهُنّ من المُحدِّثين	آراء العلماء	المصدر
١	ام عمر بنت ابي الغصن حسّان بن زيد الثقفي	عاشت في القرن الثالث الهجري	ابيها وزوجها سعيد بن يحيى بن قيس (عاش في القرن الثالث الهجري)	محمد بن الصباح الجرجرائي (ت ٢٤٠هـ) واحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وابراهيم بن عبد الله الهروي (ت ٢٤٤هـ)	جرحها يحيى بن معين الغطفاني البغدادي (ت ٢٣٤هـ) بقوله انها ليست بشيء في حين ان علماء اهل الحديث اخذوا منها	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٣ ، ٧٨٠١ ؛ الذهبي ، ميزان، ج٧ / ص٤٧٨ ، ١١٠٣٥
٢	زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس	عاشت في القرن الثالث الهجري	ابيها	عاصم بن علي الواسطي (ت ٢٢١هـ) وعبد الصمد بن موسى الهاشمي (ت٢٤٥هـ) وجعفر بن عبد الواحد القاضي (ت ٢٥٨هـ)	من افاضل النساء حدثت من حفظها	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٥، ٧٨٠٣
٣	خديجة ام محمد	عاشت في القرن الثالث الهجري	عن اسحاق بن يوسف الازرق (ت١٩٥هـ) واحمد بن حنبل	عبد الله بن احمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ)	محدثة	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٣٦ ، ٧٨٠٥
٤	فاطمة بنت احمد السامرية	٣٢٣هـ	سمعت الحوارية بنت عيسى الخراز	اخذ عنها علي بن الحسن الصيقلي (ت٣٢٣هـ)	محدثة فاضلة	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٤٤، ٧٨٢٢ ؛ ابن عساكر، تاريخ ، ج٥ / ص١٣٩ ؛ كحالة ، اعلام ،ج٤ / ص٢٧
٥	ام عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي	٣٢٨هـ	ابيها	اخذ عنها الكثير لاسيما انها تولت الافتاء	عالمة فاضلة تفتي في الفقه	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٤٢ ، ٧٨١٧؛ كحالة ، اعلام ج٣، ص٢٣٨
٦	عبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت الانصارية	بعد ٣٣١هـ	ابيها	محمد بن مخلد العطار الدوري (ت٣٣١هـ) وسليمان بن احمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)	محدثة عاقلة فصيحة	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٤٠ ، ٧٨١٣ ؛ كحالة ، اعلام ، ج٣ / ص٢٣٩

٧	الخلدية بنت جعفر بن محمد الخلدي	بعد ٣٤٨هـ	ابيها	اخذ عنها الكثير	روت عن ابيها عابدة زاهدة	الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٤ / ص٤٤٤ ، ٧٨٢٣ ؛ كحالة ، اعلام ، ج١ / ص٣٥٣
٨	فاطمة بنت عبد الله بن ابي داود السجستاني	بعد ٣٦٢هـ	ابيها	ابو القاسم عبد الواحد محمد بن جعفر وغيره (ت ٤٠١هـ)	محدثة	الخطيب البغدادي ، تاريخ، ج١٤ / ص٤٤٢ ،٧٨١٨ ؛ كحالة ، اعلام ج٤ / ص٦٩
٩	امة الواحد ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي	٣٧٧هـ	ابيها وغيره	اخذ عنها الكثير لاسيما وانها تولت الافتاء مع ابي علي بن ابي هريرة	عالمة فاضلة جمعت علوم مختلفة من القرآن والحديث والفقه والنحو والحساب الخ	الخطيب البغدادي ، تاريخ،ج١٤ / ص٤٤٣ ، ٧٨٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية ج١١ / ص٣٢٩
١٠	امة السلام بنت القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف	٣٩٠هـ	ابيها وغيره	الحسين بن جعفر السلماسي (ت ٤٤٦هـ) وابو يعلى محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)	محدثة وصفت بالديانة والفضل	الخطيب البغدادي ، تاريخ،ج١٤ / ص٤٤٣، ٧٨٢١
١١	الحوارية بنت عيسى الخراز	عاشت في القرن الرابع الهجري	اخيها	فاطمة بنت احمد السامرية	محدثة روت في تفسير القرآن	الخطيب البغدادي ، تاريخ، ج١٤/ص٤٣٩ ، ٧٨١٢
١٢	سمانة بنت حمدان محمد بن موسى الانبارية	عاشت في القرن الرابع الهجري	ابيها وعن كتب جدها الوضاح بن حسان	ابو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) وابو بكر الشافعي(ت ٣٩٢هـ)	محدثة	الخطيب البغدادي ، تاريخ،ج١٤ / ص٤٤١ ،٧٨١٤ ؛الذهبي ، ميزان ، ج٧ / ص٤٧٠ ، ١٠٩٧٤ كحالة ، اعلام ،ج٢ / ص٢٦٠